تحية

تحية عَطِرة . . . ولكنّني لا أستعير شذاها من عَرْف الورد والرّيحان فى حالية الرُّبى ؛ فحواسى الخمائل إلى ذبول ، وعطرُها إلى اضمحلال ، وإن كانت المادة لا تفنى فى هذه الحياة .

تحيَّة طيّبة . . . أستمدّها إذنْ من روضٍ خالدٍ لا يفنى زهره ، ولا يتلاشى أريجه ، هو روض الشّعور المترقرق الفوّاح فى آثار أدباء المهجر وشعـــرائه ، وأبْثّها عن لغة الضّاد كوكبة من أبناء الضّاد رفعوا لواءها عاليـــاً مرفرفاً فى ديـــار الغربة وراء البحار .

تحيَّة أجتزئ بها عن المقدّمة التى سألنيها أخى الناعورى ، ناسج بردة هذا السّفْر النَّفيس الضّخْم ، فقد ألمَّ فى كتابه هذا بشوارد الموضوع وأوابده حتى لم يترك زيادةً لمستزيد ، فجاء مؤلَّفه مرجعاً ثميناً لادب أولئك الشّعراء والنَّاثرين ، وإن كنت لا أبرّئ المؤلِّف أحياناً قليلة من عين الرضى ونظرات الودّ والمحبَّة .

وكيف لا نحيّى أجمل تحيَّة إخواناً لنا طرحتهم قسوة الأقدار فى مطارح النوى ، فما شغلهم الكفاح فى سبيل الرّزق ، ولا ألهتهم أكاليل الفوز والنَّصر عن أن تظلّ قلوبهم مشدودة النّياط إلى الوطن الأول وأهله ولغته ، وأن يكونوا البلابل المغرّدة فوق أشجار عربيَّة فى مغارس أجنبيَّة ؛ فلو أنّ أقلامهم لم تَجْرِ إلا فى الحنين والذّوْد عن الوطن والزّهو بالقوميَّة العربيَّة والدّفاع عنها وهم فى تلك المضارب النائية لكفاحهم ذلك فخراً فى يوم الفخار ، على حين أنَّهم لم يستجيبوا فيه إلاّ لعاطفتهم الوطنيَّة الصّافية الخالصة .

وهم إلى هذا أصحاب رسالة جديدة فى الأدب ، بمعناه الإنسانىّ الواسع الشامل ، لم يحملوها معهم من بلادهم ليبثّوها فى غير بلادهم ، ولا كانت تلك الرسالة محدودة المعالم معيَّنة المذاهب معروفة الفلسفة ، فإنما حملوا معهم موهبتهم وعاطفتهم فعزفوا هناك على أوتارهما أرقّ الأصوات وأشجاها . وربَّما تأثَّر بعضهم

البيئة الجديدة ، وحلت فى سمعه أنغام مزاهرها فحاكاها بعض المحاكاة ، حتى استقامت لهم من ذلك كله رسالة عُرفوا بهـا واشتهر أمرها فتطلَّع إليهـا شباب المشرق معجبين ، وطاب لفريق منهم أن يديروا خواطرهم فى فلكها الملألئ الوضّاح .

ولا جدال فى أنّ اللفظ والأسلوب هما من العناصر التى تتمّ بها صورة الأدب الجميل ، فلئن بدا لونهما خفىَّ الضّوء والظّلال فى أدب بعض أولئك النازحين إننا لنجدهما فى أدب بعضهم الآخر على ديباجة بحتريَّة متينة السَّبك مشرقة الفرند تمتّ إلى العربيَّة بنسبٍ كريم أصيل .

فمهما اختلفت الأحكام فى قيمة أدب المهجر ، ومهما تضاربت الأقوال فى مهابط وحيه ومحاسن آثاره ، فإنها لا بدّ مجتمعةٌ على ما يتجلَّى فى ذلك الأدب من وثبات الفكر وسبحات الخيال وائتلاق العاطفة ورقرقة الشعور وحلو النَّغم ، وإنها لا بدّ معترفة أيضاً لذلك الأدب بتوفّره على استجلاء أغوار النَّفس البشريَّة حين تشقى وتسعد ، وحين تغنّى وتصلّى ، وحين تتأمَّل آيات الطبيعة فتوحى إليها بكلّ جميلٍ فتّان ، وتشعرها إذا ران عليها الشَّكّ بما وراء تلك الآيات من عظمة الخالق وجلال قدرته .

إن أدب المهجر أدب الحياة ، ولسوف يخلد على الزمان إلى جوار آدابنا القديمة والحديثة ، ويكون أدب كلّ عصر وأدب كلّ جيل من النَّاس ما دام فى جوانح الإنسان روحٌ حىّ وقلبٌ خفَّاق . . .

فسلام الله يا شعراء المهجر وأدباءه

سلام الله لا أرضى ســـلامى فكلّ تحيَّـــة دونَ المقـــام

عادل الغضبان

مقدمة المؤلف

هذا الكتاب كان معداً للطبع منذ عام ١٩٥٢ ، بعد أن نُشرت جميع فصوله فى الصحف الأدبية ، وأذيع القسم الأكبر منها من محطات الإذاعة المختلفة . وإلى ذلك العام لم يكن قد صدر أى كتاب فى دراسة الأدب المهجرى دراسة عامة ، وإن كانت قد نشرت فى بعض الصحف مقالات قليلة متفرقة ، تدور حول عدد معين من الكتب المهجرية – ولا سيما مؤلفات جبران ، ونعيمه ، والريحانى ، وإيليا أبى ماضى ، وفوزى المعلوف ، والقروى – أو تبحث فى بعض القصائد المهجرية الجميلة ، كما فعل الدكتور محمد مندور فى كتابه « الميزان الجديد » ؛ وكان هناك عـــدد قليل من الكتب عن بعض هؤلاء الأدباء الكبار .

لقد كانت عدّة الدارسين إلى ذلك الحين محدودة جداً ، لأنه لم يكن يقع بين أيدى أدباء العرب فى الشرق من مؤلفات المهجـريين سوى ما طبع منها فى الشرق – كمؤلفات جبران ونعيمه والريحانى ، بشكل خاص – وكان الاعتماد فى معرفة الشعر المهجرى على المختارات الشعرية القليلة التى كان يحويها كتاب « بلاغة العرب فى القرن العشرين » لمحيى الدين رضا . وهذا الكتاب كان كل عدة الدكتور محمد مندور فى ما كتبه حول « الشعر المهموس » .

على أن من الإنصاف أن أستثنى ههنا الأستاذ وديع ديب ، فقد كان على صلة اوسع من سواه بأدب المهجر وأصحابه ، مما يسّر له أن يقدّم اطروحته الجامعية لدرجة الماجستير حول « الشعر العربى فى المهجر الأمريكى » . ولكن هذه الرسالة ظلّت مطوية بين أوراقه ، ولم يتح للقراء الاطلاع عليهـــا حتى عام ١٩٥٥ .

أما صلتى بأدباء المهجر فقد بدأت منذ عام ١٩٤٦ ، وكانت بينى وبين القسم الأكبر منهم مراسلات متصلة ، سواء فى المهجر الشمالى أم فى المهجر الجنوبى . وكانت تصل إلىّ باستمرار صحف مهجرية متعددة ، ولاسيما (السائح – والسمير –

ثم البيان بعد ذلك فى عهد صاحبها الأستاذ راجى الظاهر) فى الشمال ، و (العصبة ، والشرق ، ثم المواهب ، والعلم العربى ، والمراحل بعد ذلك) فى الجنوب . وكنت أنشر بعض مقالاتى وقصائدى فى تلك الصحف المهجرية .

أما الكتب المهجرية ودواوين الشعر المهجرى فقد أخذت تتوارد علىّ منذ بدء اتصالى بالمهجريين فى عام ١٩٤٦ ، حتى تجمّع لدىّ منها عدد ضخم ، لا أظن ان فى أى مكتبة فى العالم العربى عدداً يضاهيه من أدب المهجر . وكنت شديد الضن بهذه الهدايا النفيسة، وكثير الحفاظ عليها ، حتى إننى فى إبّان الثورة الفلسطينية (١٩٤٧ – ١٩٤٨) والمأساة الفلسطينية التى تلتها ، كنت أحمل جميع هذه الكتب معى من مكان إلى مكان ، ثم حملتها معى من القدس إلى عمان حينما وقعت المأساة ، على الرغم من أننى تركت فى منزلى فى القدس الجديدة كل شىء آخر مما أملكه من متاع الدنيا[١].

ولم يحل التشرد دون استمرارى فى العكوف على تلك الكتب الثمينة أدرسها بعناية ، وأواصل نشر المقالات والأحاديث الإذاعية عنها ، حتى اجتمع لدىّ منها عدد ضخم ، جعلته ثلاثة أقسام ، الأول للدراسات التى تبحث فى الأدب المهجرى عامة ، من حيث نشأته وخصائصه ومميزاته ، وما إلى ذلك ؛ والثانى للدراسات الخاصة بأدباء المهجر الشمالى ومؤلفاتهم ؛ والثالث للدراسات الخاصة بأدباء المهجر الجنوبى ومؤلفاتهم .

وكنت منصرفاً إلى هذه الدراسات بحماسة شديدة ، وبشكل واسع ، حتى لقد عُرفت بهذا اللون من الدراسات الأدبية فى كل مكان ، عن طريق الإذاعات والصحف ، وحتى رأيت الاهتمام بالأدب المهجرى ودراسته يتسع نطاقه ، ويجد صداه فى أوساط الأدب المختلفة فى الأقطار العربية . وكثيراً ما تلقيت رسائل كثيرة من القراء ، وأخرى من بعض طلبة الجامعات ، يسألوننى فى أمور متعددة تتعلق بأدب المهجر ، وعناوين أصحابه ، وبعضهم طلبوا الاطلاع على دراساتى

---

(١) أصبحت الآن هذه المكتبة المهجرية برمتها ، وكذلك مراسلاتى مع أدباء المهجر ، ملكاً لمكتبة الجامعة الأردنية منذ عام ١٩٦٤ .

هذه مجموعة ليستفيدوا منها فى رسائل جامعية . ولم أبخل على احد منهم بالجواب الذى يرضيه ويسهل عمله .

وفى عام ١٩٥٠ وضعت كتاباً مدرسيًّا للأدب العربى الحديث – أعيد طبعه مرتين فى عام واحد ومراراً متعددة بعد ذلك – وجعلت فيه للأدب المهجرى فصلا خاصًّا – ولم تكن الكتب المدرسية حينذاك تعنى به – . ومنذ ذلك الحين أصبح الأدب المهجرى يدرّس فى الأردن ، لا فى كتابى وحده ، بل فى مقررات للصفوف الإعدادية والثانوية الرسمية ، مهما كان الكتاب المخصّص بها ، ويطالَب به الطلاب فى امتحان شهادة الدراسة الثانوية الأردنية ، وإن يكن العدد الذى يدرس من هؤلاء الأدباء لم يتجاوز ثلاثة من الناثرين ، هم (جبران ، والريحانى ونعيمه) وثلاثة من الشعراء هم (أبو ماضى ، والشاعر القروى ، وفوزى المعلوف) . وهكذا كنت أول من أدخل الأدب المهجرى فى كتب الدراسة فى مدارس الأردن ، وقد أقرت ذلك رسميًّا وزارة المعارف الأردنية (وزارة التربية والتعليم بعدئذ) منذ عام ١٩٥١ .

أما صلاتى بأدباء المهجر فقد ظلت تزداد تمكناً حتى أصبح لدى مئات من رسائلهم ، كنت لا أزال أحتفظ بها معتزًّا ، وأحافظ عليها محافظة شديدة حتى انتقلت إلى مكتبة الجامعة الأردنية عام ١٩٦٤ . وعن طريق هذه الرسائل عرفت الشيء الكثير عن أدباء المهجر وأدبهم ، كما استخلصت من كتبهم ودواوينهم عادة دراساتى الواسعة الشاملة ، فلم أرجع إلى أية مصادر سوى هذه الكتب والرسائل .

وفى عام ١٩٥٠ أصدرت كتاباً عن إيليا أبى ماضى ، اقتصرت فيه على دراسة شعره وحده . ثم أعيد طبع هذا الكتاب بعد وفاة الشاعر عام ١٩٥٧ ، بعد أن أضفت إليه فصولاً جديدة ، درست فيها حياته وآراء النقاد فيه ، وما إلى ذلك ، وقد نشر الكتاب فى طبعته الثانية فى (منشورات عويدات) ببيروت ، وهو الكتاب السادس من سلسلة المنشورات هذه .

وفى عام ١٩٥٥ أصدرت فى عمان كتاباً آخر عن الشاعر إلياس فرحات ، ظلّ الكتاب الوحيد الذى صدر عنه إلى أن أصدر الصديق سمير قطامى رسالته

للدكتوراه عنه وجعل عنوانها : « إلياس فرحات شاعر العرب فى المهجر »[١] .

وقد درست فيه حياته وشعره ووطنيته بأوسع مدى استطعت أن أتوصل إليه . واعتمدت فى وضعه على دواوين الشاعر المطبوعة ، ومذكراته المخطوطة التى كنت أحتفظ بها ، وعلى رسائله إلىّ ، وهى تزيد على مائة رسالة ، منذ عام ١٩٤٧ إلى عام ١٩٦٤ . وكنت أعتزم المضى فى إعداد سلسلة بعنوان « أعلام الأدب المهجرى » ، واتفقت مع دار للنشر فى عمان على نشر السلسلة كلها ، غير أن الدار لم تلبث أن توقفت عن النشر بعد صدور كتابى عن فرحات ، فلم يقدّر للسلسلة أن تمضى فى طريقها المرسومة .

وحينما كنت أصدر مجلة « القلم الجديد » – وقد عاشت عاماً واحداً فقط ، وصدر منها اثنا عشر عدداً – كان آخر عدد أصدرته منها عدداً ممتازاً خاصاً بالأدب المهجرى ، واشترك فى تحريره عدد غير قليل من الشعراء والكتاب المهجريين . وفى ذلك العدد سجلت أكبر عدد ممكن من عناوين الأدباء المهجريين والصحف المهجرية ، لفائدة المهتمين بهذا الأدب وأصحابه . وكان هذا العدد – وقد صدر فى مطلع شهر آب (أغسطس) سنة ١٩٥٣ – بعيد الأثر فى الأوساط الأدبية فى العالم العربى . وقد جعلته فى ٧٢ صفحة ، وزينته بصور لأدباء المهجر ، ولا سيما الذين أسهموا فى تحريره . وكان من أهمّ مواضيعه دراسة مطولة للأديب المهجرى نظير زيتون بعنوان « الأدب العربى فى البرازيل » ، كما كان فيه مقال عن « الأدب العربى فى إفريقيا السوداء » للأديب فهد إبراهيم .

هكذا كان اهتمامى منصرفاً ، على الأكثر ، إلى هذه الناحية – شبه المجهولة حينذاك – من الأدب العربى الحديث ، وليس لى من مرجع سوى مؤلفات الأدباء المهجريين ودواوينهم الشعرية ، وسوى رسائلهم الشخصية المتعددة ، والصحف التى أتلقاها باستمرار من ديار هجرتهم ، لأنه لم يكن قد سبقنى بعد أى أديب آخر إلى دراسة أدبهم دراسة شاملة واسعة . ولم أكن قد اطّلعت بعد – إلى عام

---

(١) صدر الكتاب عن دار المعارف بمصر فى سلسلة « مكتبة الدراسات الأدبية » عام ١٩٧١ فى ٣٤٨ صفحة .

١٩٤٦ – إلا على عدد ضئيل جداً من الكتب التى تبحث فى أدب بعضهم ، وأهم تلك الكتب – ولعله لم يكن هناك غيرها إلى ذلك العام – هى :

١ – جبران حياً وميتاً – لحبيب مسعود .

٢ – حياة جبران – لميخائيل نعيمه .

٣ – محاولات فى درس جبران – لأمين خالد .

٤ – جبران خليل جبران – للأب إلياس زغبى .

٥ – ذكرى فوزى المعلوف – لمجلة الضاد الحلبية .

٦ – فوزى المعلوف – للأب جبرائيل أبى سعدى .

٧ – إيليا أبو ماضى – لنجدة فتحى صفوة .

٨ – الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى – لأنيس الخورى المقدسى .

٩ – رسالة المنبر – لفليكس فارس (الدراسة المطولة عن جبران ونعيمه) .

أما الكتب التى تعنى بدراسة الأدب المهجرى بشىء من التفصيل والشمول فلم يظهر منها شىء قبل عام ١٩٥٥ ، فمن ذلك العام إلى عام ١٩٥٧ صدر أغلب الكتب والدراسات الشاملة فى هذا الموضوع ، عدا كتاب « ذكرى الهجرة » لتوفيق ضعون ، الذى صدر عام ١٩٤٧ ، وأصحابها هم :

١ – وديع ديب – الشعر العربى فى المهجر الأمريكى – ١٩٥٥ .

٢ – محمد عبد الغنى حسن – الشعر العربى فى المهجر – ١٩٥٥ .

٣ – نادرة السراج – شعراء الرابطة القلمية – ١٩٥٥ .

٤ – جورج صيدح – أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية – ١٩٥٦ .

٥ – البدوى الملثم – الناطقون بالضاد فى أمريكا الجنوبية – ١٩٥٦ .

٦ – محمد مصطفى هدارة – التجديد فى شعر المهجر – ١٩٥٧ .

٧ – إحسان عباس ومحمد نجم – الشعر العربى فى المهجر – ١٩٥٧ .

كما صدرت كذلك خلال هذه المدة كتب أخرى تبحث فى الأدب العربى الحديث ، وتتناول فى ما تتناوله نماذج وصوراً من شعر المهجر ؛ وصدرت كتب أخرى اقتصرت كل منها على دراسة أديب أو شاعر واحد من المهجريين .

ولقد اطلعت على تلك المؤلفات كلها بعد صدورها ، وعلى كل ما استطعت

أن أصل إليه من أبحاث ومقالات فى مختلف صحف الأدب فى الشرق العربى والمهجر ، وكنت أقارن بينها وبين دراساتى التى كانت جاهزة منذ عام ١٩٥٢ ، ولكننى لم أحاول أن أبدّل شيئاً مما كتبته انسياقاً وراء أحد أو تأثراً برأى أحد ، وكل ما غيرته فى هذه الدراسات حينما جلست أعيد النظر فيهـا للمرة الأخيرة ، بعد ان تلقيت عرض دار المعارف الزاهرة لنشرها ، هو أننى أشرت إلى من انتقل إلى رحمة الله من أدباء المهجر منذ عام ١٩٥٢ حتى نشر الكتاب ، وأضفت – حيث يجب ذلك – أسماء بعض المؤلفات التى صدرت لأدباء المهجر خلال هذه المدة . كما أننى أعدت ترتيب الفصول ، فقدمت فيها وأخرت ، وزدت واختصرت ، وأضفت بعض الفصول الجديدة التى كنت قد كتبتها بعد عام ١٩٥٢ ، وهى قليلة .

هذه هى قصة هذه الدراسات منذ بدايتها . ولقد كان يؤلمنى كثيراً ان أرى الكتب فى الأدب المهجرى تؤلف وتنشر حتى عام ١٩٥٧ ، ودراساتى المخطوطة يتراكم عليها الغبار فى خزائن كتبى ، فلا تجد طريقها إلى المطبعة . ولكننى – وأنا اعدّ نفسى رائداً فى هذا الموضوع – كنت أشعر أيضاً بكثير من السعادة إذ أرى ازدياد العناية بأدب المهجر ، وإقبال القرّاء عليه وكثرة الرسائل الجامعية التى كتبت فيه ونال عليها أصحابها درجات جامعية عالية ، لأننى كنت – وأنا أرى كل ذلك – أشعر بأن الطريق الذى أسهمت بجهد وافر فى تمهيده ، قد كثرت عليه الأقدام السائرة بثقة واطمئنان ، وبأن جزءًا غير قليل من جهادى الأدبى قد أثمر وأفلح . وان الفئة المهجرية المجاهدة فى حقول الأدب العربى الحديث ، والخدمة القومية والإنسانية ، وفى خدمة لغة الضاد العزيزة ، قد لقيت من التقدير والإعجاب والاهتمام الحظ الذى كنت أريده لها .

وكان من حرص دار المعارف وحرصى على أن يظلّ الكتاب أحدث مرجع وأوفاه فى كل طبعاته ، أن أعدت النظر فى الكتاب عند إعداده للطبعة الثانية ، فأضفت إليه ما جدّ بين الطبعتين من وفاة بعض الأدباء المهجريين ، أو عودة بعضهم إلى الوطن ، أو صدور بعض المؤلفات المهجرية الجديدة .

وكذلك فعلتُ فى إعداد الكتاب لهذه الطبعة الثالثة ، فقد حذفت منه كلّ

ما وجدت فيه تكراراً ، أو تعبيراً إنشائيًّا فقط ، وحرصت على إضافة كلّ ما جدّ فى الأدب المهجرى منذ صدور الطبعة الثانية عام ١٩٦٧ حتى شهر نيسان عام ١٩٧٥ ؛ وقد جدّ الشيء الكثير الذى يجدر بالقارئ معرفته . وبهذا يظلّ كتابى هذا محتفظاً بجدّته وشموله وحداثة معلوماته فى كل طبعة من طبعاته .

وجدير بالذكر أن الأدب المهجرى قد أصبح الآن جزءًا من التاريخ ، على الرغم من وجود عدد من أهم بناته على قيد الحياة إلى اليوم ، ولكنه فقد زهوته وجدّته ومجده ، وأخذ ينطفئ شيئاً فشيئاً ، ويوشك أن ينطفئ نهائيًّا ، ومن يفيد أى جهد فى إطالة عمره .

ولعله ما كان يقدّر لهذه الدراسات أن تعرف طريقها إلى المطبعة لولا فضل دار المعارف الزاهرة فى مصر ، وفضل الأخ الوفى المرحوم الأستاذ عادل الغضبان ، الذى ما كاد يطّلع عليها فى منزلى فى عمان عام ١٩٥٨ حتى راح يبذل المسعى الكريم ليخرجها إلى النور . وقد أسدى إلىّ بذلك ، هو ودار المعارف ، وأسديا إلى لغة الضاد وأدبها الحديث ، فضلا كبيراً ، لا يسعنى معه إلا أن أسجّل لهما فى ختام هذه المقدمة أعمق الشكر عليه .

الدكتور عيسى الناعورى

عمان فى ١ / ٤ / ١٩٦٦ .